

تفسير البحر المحيط

@ 101 @ مَوْسَى { الآية ، فصاحة ؟ وقد جمع بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين . .
{ فَالْاِتِّقَاتَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ } : في الكلام حذف تقديره : ففعلت ما أمرت به من
إرضاعه ومن إلقائه في اليم . واللام في { لِيَكُونَنَّ } للتعليل المجازي ، لما كان مآل
التقاطه وتربيته إلى كونه عدواً لهم { وَحَزَنًا } ، وإن كانوا لم يلتقطوه إلا للتبني ،
وكونه يكون حبيباً لهم ، ويعبر عن هذه اللام بلام العاقبة ولام الصيرورة . وقرأ الجمهور
: وحزناً ، بفتح الحاء والزاي ، وهي لغة قريش . وقرأ ابن وثاب ، وطلحة ، والأعمش ،
وحمزة ، والكسائي ، وابن سعدان : بضم الحاء وإسكان الزاي . والخاطيء : المتعمد الخطأ ،
والمخطيء : الذي لا يتعمده . واحتمل أن يكون في الكلام حذف ، وهو الظاهر ، أي فكان لهم
عدواً وحزناً ، أي لأنهم كانوا خاطئين ، لم يرجعوا إلى دينه ، وتعمدوا الجرائم والكفر
بـ . وقال المبرد : خاطئين على أنفسهم بالتقاطه . وقيل : بقتل أولاد بني إسرائيل .
وقيل : في تربية عدوهم . .

وأضيف الجند هنا وفيما قبل إلى فرعون وهامان ، وإن كان هامان لا جنود له ، لأن أمر
الجنود لا يستقيم إلا بالملك والوزير ، إذ بالوزير تحصل الأموال ، وبالملك وقهره يتوصل
إلى تحصيلها ، ولا يكون قوام الجند إلا بالأموال . وقرء : خاطيين ، بغير همز ، فاحتمل أن
يكون أصله الهمز . وحذفت ، وهو الظاهر . وقيل : من خطأ يخطو ، أي خاطين الصواب . .
ولما التقطوه ، هموا بقتله ، وخافوا أن يكون المولود الذي يحذرون زوال ملكهم على يديه
، فألقى الله محبته في قلب آسية امرأة فرعون ، ونقلوا أنها رأت نوراً في التابوت ، وتسهل
عليها فتحه بعد تعسر فتحه على يدي غيرها ، وأن بنت فرعون أحبته أيضاً لبرئها من دائها
الذي كان بها ، وهو البرص ، بإخبار من أخبر أنه لا يبرئها إلا ريق إنسان يوجد في تابوت
في البحر . .

وقرة : خبر مبتدأ محذوف ، أي هو قررة ، ويبعد أن يكون مبتدأ والخبر { لَا تَقْتُلُوهُ }
؛ وتقدم شرح قررة في آخر الفرقان . وذكر أنها لما قالت لفرعون : { قُرْسَةَ عَيْنٍ لِّي
وَلَاكَ } ، قال : لك لا لي . وروي أنها قالت له : لعله من قوم آخرين ليس من بني
إسرائيل ، وأتبعته النهي عن قتله برجائها أن ينفعهم لظهور مخايل الخير فيه من النور
الذي رأته ، ومن برء البرص ، أو يتخذوه ولداً ، فإنه أهل لذلك . { وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ } : جملة حالية ، أي لا يشعرون أنه الذي يفسد ملكهم على يديه ، قاله قتادة
؛ أو أنه عدو لهم ، قاله مجاهد ؛ أو أني أفعل ما أريد لا ما يريدون ، قاله محمد بن

إسحاق . والظاهر أنه من كلام الله تعالى . وقيل : هو من كلام امرأة فرعون ، أي قالت ذلك لفرعون ، والذين أشاروا بقتله لا يشعرون بمقاتلتها له واستعطاف قلبه عليه ، لئلا يغروه بقتله . .

وقال الزمخشري : تقدير الكلام : { فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا } ، و { قَالَتِ امْرَأَتُ * فِرْعَوْنَ كَذَا } ، { وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه . وقوله : { إِنَّ فِرْعَوْنَ } جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم . انتهى . ومتى أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير فصل كان أحسن . .

{ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا } إِنَّ كَادَتْ لِتُيَدِيَ بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَّابِطُنَا عَلَى قَلْبِهَا لِيَتَكُونَ مِنَ الْغَائِبِينَ * وَقَالَتِ لَخُتَمِي قُمْصِيهِ فَتَضَرَّتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّ مَنَا عِلَاقِيهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتِ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا كُنْ أَكْثَرَ هُمْ لَا يَعْلمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى رَءَاتِيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } . .

{ وَأَصْبَحَ } : أي صار فارغاً من العقل ، وذلك حين بلغها أنه وقع في يد فرعون ، فدهمها أمر مثله لا يثبت معه العقل ، لا